بالمعسكر الرأسمالي الذي أنجبه، وأفرزه فكرياً، ورعاه وحماه بنيوياً، وكذلك احتفاظه بخيوط قوية مع المعسكر الماركسي الذي تبنّاه جزئياً، لكون معظم المستوطنين الصهيونيين الأوروبيين أصلاً من مواطني أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي، من ناحية، ولقدرة بعض روّاد المشروع الصهيوني على اقناع الاتحاد السوفياتي، في مرحلة ما، بأن الاستيطان الصهيوني في فلسطين سوف يجعل منها واحة اشتراكية في المنطقة. وقد استطاع المشروع الصهيوني توظيف الكثير من طاقات ونفوذ المعسكرين معاً، بشكل أو بآخر، لخدمة، وحماية، أهدافه، ونموّه، إلى أن استقرت علاقاته على أولوية ربط اسرائيل، استراتيجياً، بالولايات المتحدة الاميركية على النحو المعروف والراهن الذي بسّطه رئيس وزراء اسرائيل الأسبق، مناحيم بيغن، يوماً، بوصف إسرائيل بأنها أكبر حاملة طائرات في الأسطول الأميركي. ومع تلاشي الحرب الباردة بين المعسكرين، وبداية انهيار معظم النظم الماركسية في أوروبا الشرقية، ونشوء علاقات جديدة بين الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي، واتجاه أوروبا المتسارع نحو التكامل والتماثل بين شرقها وغربها، سوف تواجه الاستراتيجية الأميركية سؤالاً ذاتياً حول مدى استمرار حاجتها إلى حاملة طائرات مكلفة، ومزعجة، بحجم اسرائيل، ومدى ربحيّة استثماراتها الضخمة، من مساعدات وتبرّعات والتزامات مالية وعسكرية وسياسية، في المشروع الصهيوني الذي تبنّته في ظروف دولية تختفي لمصلحة ظروف مختلفة جداً. كذلك، فإن تقلّص رغبة، وقدرة، الاتحاد السوفياتي، وحاجته، أيضاً، الى الاستقطاب في العالم العربي، في ضوء تجربته المرّة ومراجعاته الاستراتيجية، لا بد أن تقابله مراجعات، وتبديلات، في وسائل واحتياجات الولايات المتحدة الأميركية، وفي مصالحها وأولوياتها الاستراتيجية في منطقتنا. وبهذا، يصبح الرهان الاسرائيلي على استمرار قوة الدفع السابقة والعناد التقليدي الغبي للسياسة الأميركية في الشرق الأوسط رهاناً قصير المدى، والأمد، والنظر. ولأن اسرائيل تدرك هذا جيداً، في تقديرنا، فإنها تدخل، الآن، سباقاً مع الزمن للافادة، بأقصى قدر، من امتيازاتها في واقع دولي تطوى صفحته لصالح واقع مغاير تتشكل مقوّماته وملامحه على أسس مختلفة، سعياً إلى تحقيق أكبر مكتسبات ممكنة، وبأسرع وقت، حتى تواجه اسرائيل العالم الجديد، الذي نشهد ولادته، بوقائع اقليمية تخلقها على الأرض، تسمح لها بحصة أكبر ممّا هو متاح لها حالياً في المنطقة.

٢ ـ بعدما حكم حزب العمل اسرائيل منفرداً في ربع القرن الأول من حياتها، وطبع الكثير من مؤسساتها، وأساليبها، بطابعه؛ ثمّ حكمها تكتل الليكود منفرداً قرابة عشر سنوات، حاول خلالها إزاحة القشرة التي غلّف حزب العمل اسرائيل بها ليجسد أفكار وأحلام وأساليب جابوتنسكي، تجسيداً عارياً واضحاً مباشراً، قادت الدورتان الأخيرتان للانتخابات البرلمانية في إسرائيل إلى توازن عددي، أفرز ما سمّي بـ «حكومة الرأسين»، ثمّ حكومة الوحدة الوطنية، أو «الشلل» وفقاً لعديد من المراقبين الاسرائيليين. وخلال تجربة المشاركة، التي لا تزال مستمرة، لم يكن تعايش التباين، وأحياناً التناقض، متجسّداً في لقاء المصالح السلطوية بين العمل والليكود فحسب، وإنما تولّد منه تعايش التباين والتناقض أحياناً حول التعاطي مع الصراع العربي ـ الصهيوني في مرحلته الراهنة، في إطار كل من التكتلين. وقد برزت حالات كبح تكتيكي متوالية للقوى التي اصطلح على تسميتها «متطرفة» في سياق التطرف العام للحركة الصهيونية بأسرها. وعلى الرغم من أن هذه القوى تمثل، في رأينا، الحركة الصهيونية، في جوهرها وطبيعتها ونزعاتها الحقيقية، بأكثر وأصدق ممّا يفعل سواها، فإن الطروحات الفجّة، السافرة، لبعض رموز هذه القوى، مثل أريئيل شارون ورافائيل ايتان ومئير كهانا، والتي نكرر اعتقادنا بأنها أكثر صدقاً في التعبير عن الحركة الصهيونية وأهداف